كتاب حرب الجزائر"لإيف كوريير" _مقتطفات مما ورد عن الولاية الرابعة_

تقديم:

قدمت الولاية الرابعة إسهاما مميزا إبان الثورة خصوصا دورها في افشال المخططات الفرنسية الرامية إلى القضاء على الثورة، كان هذا بكونها مركز القرارات الثورية الحاسمة، وهو ما جعل إدارة الاحتلال تولي اهتماما خاصا لهده الولاية، وتسعى إلى ضربها بمختلف الوسائل, وكان هذا الصراع من العوامل الدافع إلى إسالة الكثير من الحبر بشأنها ، سواء من قادة والضباط العسكريين أو رجال السياسة فضلا عن الإعلاميين. إذ كان الهدف من هدا هو التقليل من قيمتها والتشكيك في فاعليتها وتقزيم بطولاتها، ومن بين هذه الأقلام نجد الصحفي الفرنسي" إيف كورييز" الذي برزت له عدة كتابات في شأن الثورة، وعبر الولايات السبع على رأسها الولاية الرابعة، ولذلك اعتبر كتابه "حرب الجزائر" من أهم المصادر التي أرخت للثورة الجزائرية. فمن هو إيف كورييز" وفيما تمثلت اسهاماته في الكتابة عن الثورة الجزائرية؟ وما جاء في كتابه عن الولاية الرابعة ؟

من خلال هذه الورقة سنحاول الإجابة عن هذه التساؤلات مع التنبيه إلى قيمة هذا النوع من المصادرفي تقصي التاريخ وبالأخص تاريخ الثورة، وضرورة توجيه الباحثين إلى دراستها.

نبذة عن الولاية الرابعة :

ارتبط تاريخ الولاية الرابعة بأعقد المشاكل التي واجهتها قياده الثورة منذ انطلاقتها، وقد كان على رأسها الحركة بلونيس، وقضيه الشريف بن سعيدي، وقضيه اتصال "سي صالح زعموم" مع الاحتلال الفرنسي،فيما عرف بالحركات المناوئ للثورة وازمه 1962 بين الحكومة المؤقتة وجيش الحدود. وقد أدت الى التباين في الرؤى والمواقف الى درجه الصدام المسلح خصوصا في المرحلة الأخيرة 1960 –1962

الولاية الرابعة هي احدى الولايات الست التي انبثقت من التقسيم الذي نصت عليه قرارات مؤتمر الصمام 1956، والتي تمتد من الشرق الى الغرب من بلاد القبائل الى المنطقة الوهرانية. اذ ضمت جزء من منطقه الونشريس وتمتد من الشمال الى الجنوب من المنطقة الساحلية على امتداد شريط ساحلي يقدر ب 300 كلم الى مشارف الصحراء حيث حدود الولاية السادسة. وتضم في مجملها المنطقة الساحلية الوسطى

وسهل متيجة الذي يطوق العاصمة، إضافة الى مناطق جبال الاطلس البليدي والتيطري وزكار والظهرة وسهول الشلف وجبال زبربر وبوزكزه وسهل سرسو

تعرضت الولاية الرابعة الى ضغوطات عسكريه وسياسيه كبيره من السلطات الاستعمارية ويعود ذلك لعده عوامل منها الموقع المحوري للولاية الرابعة والكثافة السكانية خاصه المستوطنين مع التركيز المكثف للسكنات العسكرية التي تسلط الرقابة على هذه المنطقة ووجود العاصمة.

لعبت الولاية الرابعة دورا تاريخيا منذ البداية الاولى للاحتلال ففي المقاومات الاولى كانت معركه سطاوالي، كما برزت فيها مقاومه الامير عبد القادر، إذ كانت المدية وملیانة عاصمتين الأمير، كما كانت مهدا للتحضيرات الاولى لثوره التحرير الجزائرية، و يسجل التاريخ انها كانت مهدا لميلاد الحركة المسلحة المتمثلة في المنظمة الخاصة l'OS

وإذا اردنا الحديث عن قادتها فإننا نجد من ابرز قاده هذه الولاية السي مُحَمَّد بوقره، ويوسف الخطيب، الجيلالي بونعامة، بالإضافة الى قاده عسكريين وضعوا بصمتهم في الثورة بالولاية الرابعة ومنهم على سبيل المثال علي خوجة، رابح زراري المعروف بالرائد عز الدين رابح درموش وغيرهم.

تعرضت الولاية الرابعة الى عمليات عسكريه واسعه في شكل هجوم عنيف وشامل في جبال الظهرة والتيطري والاطلس البليدي في شهر جوان وابريل 1959، واصبح الثوار في حاله حصار جعلهم – اشبه بالأسماك التي لا تغادر حوضها المائي على حد وصف العربي الزبيري– كما كان مخطط شال يحدّ من فعالية الكفاح المسلح، فتحولت الولاية الرابعة الى اوكار مستقله –كما يشير الدكتور الزبيري دوما– تتحرك وفق الضرورة. ومعلوم أنّ خط شال جاء لتدعيم خط موريس وزاد من التضييق على ولايات الداخل وعلى رأسها الولاية الرابعة بفعل تعرضها للحصار، والهجوم من جهة، واختناقها بسبب ضعف تسليحها، وتوقف امدادها بالسلاح الدعم اللوجستيكي.

شكلت منطقه الجزائر العاصمة خليه التفكير بالنسبة للثورة منذ انطلاقها، وتحولت بعد مؤتمر الصومام الى خليه قياده وتسيير للنشاط الثوري، ثم اصبحت منذ سنه 1957 نقطه ساخنه للمواجهة في اطار ما عرف بمعركه الجزائر والتي انتهت بمشاركه الشعب في اضراب الثمانيه ايام من 28 جانفي الى 4 فيفري1957

تعريف إيف كورييير

ولد هذا الصحفي في 1935 في باريس، إذ كان كاتبا صحفيا أثناء قيام الثورة التحريرية، وقام بتغطية كل مناطق الساخنة في العالم منذ 1957، كما تحصل سنه 1966 على جائزه البير لندن Albert–London شرع في كتابه المؤلف "حرب الجزائر" La guerre D'Algérie والذي اعتبر من المؤلفات المهمة من قبل الأكاديمية الفرنسية L'académie Française، وجاء هذا الكتاب في شكل سلسله من الروايات من اربعه احجام صغيره اربعه اجزاء صغيره، وقد بيعت عند صدوره ازيد من 500,000 نسخه. وهو كتاب من اربعه اجزاء اطلق على الجزء الاول Les fils de la toussaint أبناء القدسين صدر الجزء الاول سنه 1968 ، وصدر الجزء الثاني سنه 1969 وسماه "زمن الفهود Le temps des Léopards " وعلى الجزء الثالث أطلق تسمية " L'heure des colonelsساعه العقداء" وصدر الجزء الثالث سنه 1970 في حين كان عنوان الجزء الرابع " Les feux du Désespoirs نيران الياس" وكان صدور هذا الجزء سنه 1971.

محتويات الكتاب:

الجزء الأول: حمل عنوان ابناء القديسين لفيس Les fils de la toussaint وهذا العنوان مستوحى من الاحتفال بالقديسين عند الكاثوليك ويتم هذا الاحتفال في اول نوفمبر و هو عباره عن رمزيه مسيحيه تضمن هذا الجزء اندلا ع ثوره نوفمبر 1954 والتي اعتبرها ثوره ارهاب وتمرد مركز وقع لأول مرة, منذ 1830 واستهدف القوه الفرنسية واشار ايضا الى ان هذه الحرب اي حرب الجزائر فجرها سته رجال دون دعم ودون سلاح ودون مال ويضيف دون حتى دعم شعبي والواقع طبعا ان الثورة لا يمكنها ان تقوم دون هذا الدعم الشعبي

وابن القديسين باختصار هو الحقيقة حول الانطلاق المجهولة للحدث الذي سيعلم في العمق عشر سنوات من التاريخ السياسي لفرنسا «الثورة الجزائرية "[1]

Les fils de la Toussaint c'est simplement la vérité sur les débuts inconnus de l'événement qui allait marquer profondément des années de l'histoire politique de la France la Révolution algérienne

---

[1]- ص1

الجزء الثاني : **Le temps des Léopards** زمن الفهود، وقد تناول هذا الجزء بالدراسة المرحلة الممتدة من 1955 الى 30 سبتمبر 1957 وقد لقب المظليون بالفهود الذين يتصدون لجبهه التحرير الوطني[2].

الجزء الثالث: **L'heure des colonels** ساعه العقداء

تناول بالدراسة المرحلة الممتدة من 1957 الى بداية 1960 ينقل فيها الاحداث كمؤرخ وكشاهد عيان وقد استعرض احداث كانت بالنسبة له مهمه جدا استحضر من خلالها شخصيات بارزه منها " مُحَمَّد بلونيس "و"كريم بالقاسم "كما وقف عند احداث بارزه منها حادثة ملوزة لابلويت[3]

الجزء الرابع : **Les feux du désespoirs** نيران اليأس

وعلى واجهه هذا الجزء وباللون الأسود كتبت عبارة "المنضمة العسكرية السرية تضرب متى ارادت "

"L'OAS frappe quand elle veut »

اشار في مقدمه هذا الجزء انه جمع فيه اسرار هذه الحرب يقصد الثورة الجزائرية ومن هذه الاسرار انقلاب الجنرالات **putsch des généraux**، الجواسيس، المفاوضات السرية، **les Rousse**النضال ضد **O .A.S** وصول بومدين، الحرب الأهلية في الجزائر، توقيف سالان **Salan**وقد ختم مقدمه هذا الجزء بعبارة مؤثرة جاء فيها:

"Les feux du désespoir c'est aussi, c'est surtout ,la fin d'un grand amour ,une passion orageuse entre la France et l'Algérie ; une passion qui a laissé tant de traces ."

غطت هذه الاجزاء الأربعة الثورة الجزائرية من بدايتها الى نهايتها والمتصفح لهذا الكتاب سيقف عند الكثير من الاحداث الخاصة بثوره التحرير الجزائرية التي تستدعي التمعن والتدقيق والتمحيص والاخذ بحذر خاصه وان هذا الكتاب يتناول الاحداث بأسلوب مخابراتي وفي كثير من الاحيان تستشعر قربه من الدوائر الاستخباراتية يشبه الى بعيد الأسلوب الذي كتب به كتاب " جمال عبد الناصر والثورة الجزائرية " لصاحبه

---

[2] -ص1

[3] - ص1

رجل المخابرات المصرية "فتحي الديب "نستشهد في ذلك ببعض العبارات المستخرجة من هذا الكتاب مثلا

الصفحة 455 من كتاب " Les fils de la Toussaint "

« la surprise fut totale »

« et pourtant le gouverneur Léonard savait ; le directeur de la sûreté Vaujour ; savait ;Paris aurait dû savoir après le rapport du 23 octobre le commandant en chef cherriére ; était au courant de quoi ? d'un danger peut–être immédiat » d'un mouvements coordonnées au Caire par ce Ben Bella de l'o.s.

وفي عبارات اخرى في نفس الصفحة يذكر مثلا

« Quant à Mitterrand lui même il répétait souvent à Pierre Mendès France : je sens quelque chose en Algérie . » jamais il n'avait dit à son collègue Jacques Chevalier secrétaire d'État à la Guerre : « vous êtes d'Algérie ; parlons un peu comment ça se passe actuellement . »

مقتطفات عن الولاية الرابعة من خلال كتاب حرب الجزائر Yves courrière

اعتبر كورييز الولاية الرابعة الدماغ المفكر للثورة الجزائرية على اعتبار انّ التخطيط والتحضير انطلق منها وهذا ما عبر عنه قائلا :

Il savait (بن بولعيد) que c'est la révolution avait un cerveau algérois son cœur battait dans les sauvages montagnes de L'Aurès depuis toujours

اعتمد الكاتب اسلوبا قريبا الى الرواية حيث يذكر مواقف وكأنه كان حاضرا بها في صفوف المناضلين وزعماء الثورة الجزائرية كأنه بذلك يستصغر دورهم ويقزم من الثورة ويلغي بما يذكره خاصيه السرية التي ميزت الثورة الجزائرية، مثال ذلك ما جاء ذكره في عدة صفحات نذكر منها صفحة 45 من « **Les fils de la toussaint** » التي جاء فيها :

Boudiaf et Di douche et Ali Mahsas sont là ; les trois hommes se serrent la main et touche leur cœur
le garçon s'approche et pour ces messieurs

تحدث عن التحضيرات الأولى للثورة قبل اندلاعها من قبل اللجنة الثورية للوحدة والعمل C.R.U.A بما فيها عمليه التمويل واشار في ذلك الى دور "ديدوش مراد" في جمع الأموال ملمحا الى حصوله على المال من اسرته التي كانت ميسورة، ثم ذكر انه كان ابنا عاقا الى درجة ان والده لجأ الى منحه نصيبه من الميراث كما اشار كذلك الى دور سويداني بوجمعة والزبير بوعجاج في هذه العملية اي جمع المال، ومما جاء قوله :

« **Les parents de Didouche était aisé** . »
« **le père de Didouche était bien loin de se douter de l'emploi que faisait Mourad de cet argent péniblement gagné**. »

يلاحظ أيضا ان ايف كورييز استعمل في عرضه أحداث الثورة أسلوبا فيه مكر وهو نفسه السياسة المعهودة عن الاحتلال الفرنسي المعروفة بسياسه فرق تسد، وهي السياسة التي اعتمدتها منذ بداية

الاحتلال وذلك حين يتحدث عن منطقه القبائل، بحيث نستشعر من حديثه توجيه القارئ الى مسألة الهوية ووجود عرقين عربي وقبائلي شارك في الثورة وهي النظرية التي اشتغل عليها الاحتلال منذ دخوله الجزائر وحاول ترسيخها بكل الطرق . ومما ذكره مثلا

« **Oui la Kabylie est une force organisée ;une force valable mais pas tous les autres**. »

وعند حديثه عن اندلا ع الثورة في الولاية الرابعة يعود الى الحديث عن منطقه القبائل وعن دورها في تفجير الثورة بالولاية الرابعة بأسلوب نلتمس منه هذه الميزة وهي ميزه محاوله التمييز بين الجزائريين بحيث يقول مثلا :

« Ils n'ont rien dit de véritables tombeau ces type ils ne bougent pas il ne parlent pas je les ai seulement vu vérifier leurs armes c'est tout ! des vrais kabyles de la montagne »

« l'insurrection dans l'Algérois va se faire presque uniquement avec des Kabyles »

« Bouchaib et Souidani et Bitat seront les trois seules algérois à mener les 221 kabyles les sergent Ouamrane a jugé bon de se joindre a eux. il fallait un chef kabyle à légal- ou presque- de Bitat et Bouadjaj pense que ce n'est pas le moment de rallumer les querelles arabo- kabyles ceux-ci viennent de leur rendre un fameux service et on ne va pas faire la fin bouche »

وفي حديثه عن اندلا ع الثورة يستعمل كوريير اسلوب الرواية وكأنه أحد شخصيات الاحداث بحيث يروي تفاصيل دقيقه عن نشاط وحركه المناضلين والقادة، وكانه احد عناصر هذه المجموعة ومن امثلة ذلك ما يلي :

« Belouizdad s’éloigne en direction de la rue de Lyon le trolley arrive ; les passagers montent ; Merzougui s'efface pour laisser passer ceux qui sont arrivés après lui ; il est à nouveau seul à l'arrêt et successivement les chefs de groupe du commando d'Alger ; ces deux derniers ont l'air nerveux. »

« A quelle heure faut-il prévenir les hommes lui demande de Nabti . »

« 10 heures, tu le sais bien, souffle Merzougui maintenant fil, ce n'est pas la peine qu'on nous voit ensemble. »

وهو يصف الشهيد السويداني بوجمعه يقول

« accroché au volant du camion Souidani fume à longue bouffées nerveuse et rapide la fumée brûlante lui emporte la bouche . »

في وصفه فرقه الكوماندو التي جاءت من منطقه القبائل يقول

Ils n'ont rien dit de véritables tombeau ce type il ne bouge pas il ne parle pas je les ai seulement vu vérifier leurs armes c'est tout .

وعن الدلا ع الثورة بدأ بطرح سؤال وكان فيه استهزاء بالحدث –اندلا ع الثورة– حيث قال الثورة !اية ثورة؟

La guerre ! quelle guerre ?

جاء العنوان بصيغه استفهام يمكننا ان تفسير ذلك بأن الكاتب يستهزئ من رد فعل الجزائريين المسلمين من اعلان الثورة على الاحتلال الفرنسي رغم انه سيعود ويناقض ما قاله بحيث يشير الى ان هذه الثورة قد فاجأت الجميع وقد عبر عن ذلك بقوله

« **La surprise fut totale** . » **fils de tout ça de tout ça**

ركز "كوريير" في كتابه حرب الجزائر على ما اصطلح عليه بالصراع بين الداخل والخارج ومن بين هذه القضايا قضية الولاية الرابعة او ما عرف بقضية "سي صالح زعموم" الايليزي وقد ذكر تفاصيلها في الجزء الرابع من الكتاب " نيران اليأس" Les Feux du désespoir وقد شملت عدة صفحات من الصفحة 86 الى الصفحة 111ومما جاء فيها ما يلي :

ومما جاء ذكره حول هذه القضية قوله :

"كل شيء بدأ5 أشهر من قبل ففي مطلع جانفي 1960عندما توصلت مصالح الاستخبارات الخاصة بالولاية الرابعة التي توصلت الى عدة رسائل تمت بين قائد الولاية الرابعة "سي صالح زعموم"و العقيد"هواري بومدين "من وجدة، ثم يستطرد قائلا:

"كان العقيد Heuxعلى علم بأن مشروع "شال" قد حول الحياة صعبة للأحياء من الولاية الرابعة

« **Le plan Challe avait fait la vie dure aux survivants de la wilaya ;mais il ne pensait pas que le moral fut tombé aussi bas** , »**feux p88**

وصف كوريير الحديث الذي دار بين القائدين وكأنه حضر النقاش وقال في ذلك

« **en fait si Salah engueulait littéralement son chef d'état–major** : »**vous ne foutez rien ;disait il** :**vous vous prélassez à l'extérieur ;mais méfiez vous** ,**les maquis sont las et écœurés ;De Gaulle propose la paix des braves ;légalité complète pour tous** . »

ويعود ليناقض قوله في الصفحة 94وهو ينقل قول "سي صالح مخاطبا " بيرنارد تريكو"

« **Nous ne désirons couper les ponts ni avec la France ni avec l'occident, dit–il d'une voix douce, chacun a droit de vivre en paix dans son pays, ce que désirons, c'est la fin de la domination européenne. Que nous soyons maitres de affaires sans que les Européens décident pour nous** . »

أشار الى موقف الجنرال شال من قضية "سي صالح " مشيرا الى انها تحقيق لسياسة الاندماج التي لطالما حلم بها الفرنسيون وهي الان تتحقق وعبر عن ذلك بقوله :

L'affaire Si Salah, c'est l'intégration tant rêvée qui devient enfin possible ,le maintien définitif de cette Algérie française que l'on a juré de préserver . »

وعن اللقاء يذكر :

« **Si Salah, le chef de la wilaya4,avait prie contact avec le gouvernement français, pour étudier les possibilité d'une paix séparée**. »

ثم يصف الرحلة بدءا بالاتصالات الأولى وصولا الى ركوب الطائرة حيث يذكر ان قادة الثورة لم يسبق لهم ركوب الطائرة باستثناء "سي صالح "، كما أشار الى بعض التفاصيل التي تبرز بأن الجزائري كان متخلفا الى درجة انه يجهل أبسط أنواع الطعام ويشير هنا الى جبن "كمنبير " ومما ذكره

« **pour Si L'Lakhdar et Si Mohamed c'était la première fois qu'ils survolaient** «

« **mais Si Salah ,lui,est déjà monté en avion** «

« **Le repas lui–même avait été une source d'étonnement pour ces soldats des maquis. Les gendarmes de L'air en civil, les avaient vus déchirer à belles dents les tranches de viande froide qu'on leur présentait. A l'heure du fromage, Lakhdar, qui ne connaissait pas le camembert, L'avait mangé tout entier, croyant que c'était L'usage et sans une goute de vin ! les trois homme respectait strictement L'orthodoxie musulmane, ils ne fumaient ni buvaient d'alcool**. »

وصفه لقاء "سي صالح" "ديغول

وصفه لقاء "سي صالح" "ديغول"

الساعة العاشرة ليلا دخل الخمسة رجال الى مكتب رئيس الجمهورية "تريكو ،ماثون ،سيصالح ورفاقه بخطى متثاقلة ديغول كان يجلس خلف المكتب اللقاء كان رسميا ،وبحركة طلب الرئيس من القادة الجلوس جلس السي صالح على الاريكة في الوسط السي لخضر على يمينه وسي مُحَمَّد على يساره بعد ان قدموا التحية العسكرية لديغول وفي عشرة دقائق لخص ديغول موقفه الذي قال عنه بانه موقف فرنسا من الخطوات المطلوب اتبعها لوقف اطلاق النار ثم احيلت الكلمة الى القادة الجزائريين وفي اخر اللقاء يدكر ما جاء على لسان ديغول لقادة الولاية الرابعة

« **Messieurs, leur dit–il, je ne sais si nous nous reverrons.je l'espère .j'espère aussi que je pourrai alors vous serrer la main. Vous comprendrez que je ne puisse le faire aujourd'hui car nous restons, pour l'instant, des adversaire .mais si je ne vous serre pas la main, messieurs ,je vous salue.** »

وهكذا انتهى اللقاء الذي وصفه كوريير بالحدث الأكثر سرية في الثورة، وبأنه اللقاء الأول والأخير الذي سيجمع ديغول وجها لوجه مع اعداءه الذين يمثلون الثورة التي تعد اخطر ازمة عرفتها فرنسا منذ 15 سنة ولأول مرة منذ 1نوفمبر 1954تبرز ملامح السلام في الأفق .

خاتمة

الكتابات الفرنسية حول تاريخ الجزائر عموما وتاريخ الثورة خصوصا جعلت الكثير من الأحداث والقضايا المثيرة محل جدل ونقاش مستمر وقد اكتنفها الغموض وأصبحت مواضيع سياسية يستعملها الساسة لأغراض ذاتية وهذا ما جعل الأجيال لا تهتم بالتاريخ وبالدراسات التاريخية وأكثر من ذلك صار الكثير يتهم التاريخ بالتزوير وشجعت بذلك المجال لغيرها في كتابة التاريخ الذي يقزم الثورة ويمجد الاحتلال ويبرر سياساته في الجزائر ويعد هذا الكتاب "حرب الجزائر " لايف كوريير بأجزائه الأربعة – والتي استعراضها في هذه الدراسة– مثالا لذلك. وعلى هذا نوجه المهتمين والمختصين بالتاريخ الجزائري بمراحله الى تحرير هذا التاريخ بما فيه تاريخ الثورة المجيدة من هذه الأقلام الحاقدة والمناوئة والمقاومة لوجود دولة ذات كيان وسيادة هي الجزائر بهويتها المتميزة العربية الإسلامية.